المحاضرة (3)

الأمير عبد القادر ونهضة الأدب الجزائري

* ولد الأمير عبد القادر سنة 1807 في معسكر تعلم على يدي والده ثم على أيدي شيوخ من وهران (1821)، ذهب إلى الحج برفقة والده سنة 1825 حيث تعرف على أوضاع عدة بلدان مر منها ( تونس، مصر، العراق، سوريا، ليبيا ) خلال سنتين وعاد إلى معسكر سنة 1828 .
* بعد احتلال الجزائر التف سكان معسكر حول محي الدين الذي جعل ابنه قائدا سنة 1832 يواجه فيها الاحتلال الفرنسي وتمكن من جمع الكثير تحت لواءه طوال خمسة عشر سنة من الجهاد، لكنه لم يتمكن من الصمود حيث استسلم سنة 1847 و نفي إلى مدينة أمبواز قضى فيها خمس سنوات ثم إلى اسطنبول بتركيا حيث منحه السلطان العثماني قصرا بمدينة بروسة، قضى فيه سنتين ليستقر أخيرا بدمشق في سوريا .
* جاب العديد من الأقطار العربية والإسلامية والأوربية وتوفي سنة 1883 .

**أدبه :**

* كتب الشعر والنثر، ومن كتبه (المواقف ) وهو كتاب ديني يتحدث فيه عن طريقته في التصوف، إلى جانب العديد من رسائله، بالإضافة إلى ديوان شعري يتضمن مختلف الأشعار التي كتبها والذي نشر في الستينات من القرن الماضي .

**شعره :**

* كتب في أغلب أغراض الشعر العربي، ويعتبر رائدا في الحركة الأدبية في الجزائر إذ يمكن أن نقول أنه يمثل مدرسة الإحياء في الجزائر على نحو ما قام به رائد الحركة الثقافية في المشرق محمود سامي البارودي 1838 – 1904 وكلاهما استمدا أدبهما من التراث الشعري العربي القديم ويتشابهان في كونهما رجلا قلم وسيف، شاركا في المعارك ونفيا بعدها إلى أراضي الغربة .
* ألف قصائد تدخل في إطار شعر المناسبات، وفي الوصف، وأشعارا في التصوف إلى جانب قصائد في الفخر والغزل .

**1/شعر الفخر :**

* يفتخر الشاعر كثيرا بنفسه باعتبار نفسه قائدا محنكا سواء في السلم أو في الحرب حيث يقول :

سوانا ليــس بالمقصـود لما ينادي المستغيث ألا تعالوا

ولفظ الناس ليس له مسمـى سوانا والمـنى منا ينـال

لنا الفخر العميم بكل عصـر ومصر ...هل بهذا يقال ؟

* ويفتخر أيضا بنسبه إلى النبي بالإضافة إلى افتخاره بالرسول حيث يقول في قصيدته (وراء الصورة) :

ورثنا سؤددا للعرب يبقى وما تبقى السماء ولا الجبال

فبالجد القديم علت قريش ومنّا فوق ذا طابت فعـال

لهم لسن العلوم لها احتجاج وبيـض ما يثلمها الـنزال

سلوا تخبركم عنا فرنسا ويصدق إن حكت منها المقال

* ويصل بفخره إلى وصف صبره الذي قارنه مع صبر جواده في قوله :

إذا ما اشتكت خيلي الجراح تحمحمها أقول لها صبرا، كصبري وإجمالي

* ويشبِه فخره بحسن البلاء في المعارك وبعلمه وأدبه المتنبي في قوله مخاطبا زوجته:

وعني سلي جيش الفرنسيس تعلمي بأن منايـاهم بسيفي وعسـالي

سلي الليل عني كم شققـت أديمه على ضامر الجنبين، معتدل عال

سلي البيد عني والمفـاوز الـربى وسهلا وحزنا كم طويت بترحالي

* ومن خصوصية شعر الفخر عنده توظيف الوصف مستعملا الألفاظ ذات الصلة بالبادية معلنا تفضيله لها عن المدينة كقوله :

ما في البداوة من عيب تذم به إلا المروءة والإحسان بالبدر

**و من الجوانب التي يفخر بها :**

* الشجاعة والصبر على المكاره، الفروسية، حب المنازلة ، إجادة الإصابة الأخلاق الرفيعة، الفخر بالنسب، الوفاء، الإخلاص في القول والفعل ... وهي كلها جوانب سبقه إليها القدامى مستعملا قوالبهم الجاهزة ومحاولا ربطها بافطار الزماني والمكاني( البيداء / المعارك).

**2/شعر الغزل :**

* أحيانا يرد الغزل مستقلا بقصائد معينة وأحيانا أخرى نجده متناثرا بين ثنايا الموضوعات الأخرى مثل الفخر أو الإخوانيات، ومما كتبه في الغزل وله علاقة بزوجته قصائده: (مسلوب الرقاد )، (دموع ونار ) (منوا بلقياكم) ، (ليس للحب دواء) وفيها يقول :

ولو لم يكن للعاشقين تقرب لوقت وصال ما بقوا لمساء

* أما القصائد الغزلية التي لم يكتبها عن زوجته نجد: (يتيه بدله عمدا)، (ذات خلخال)، (باللحظ تخدش وجنة)، حيث يتحدث في الأولى عن ريفية بقوله :

أود بأن أرى ظبي الصحاري وأرقب طيفه والليل سار

يتيه بدله ويصول عمدا غني بالجمال فلا يداري

ويسلبني إذا تبدى بوجه في الإضاءة كالنهار

* ومن القصائد التي يصف امتناع حبيبته عنه وشكواه من معاملتها إياه قصيدته (بنت العم) يقول فيها :

أقاسي الحب من قاسي الفؤاد وأرعاه ولا يرعى ودادي

وأبكيها فتضحك مـلء فاها وأسهر وهي في طيب رقاد

وأبذل مهجـتي في لثم فيها فتمنعـني وأرجع صـاد

فما تنفك عـني ذات عـز وما أنفـك في ذلي أنـادي

ومن عجب تهاب الأسد بطشي ويمنعني غزال عن مرادي

* ونجد نفس المعاناة في قصيدة (جودي بطيف )يقول فيها :

جفاني من أم البنين خيال فقلبي جريح والدموع سجال

* ونجده في قصيدة أخرى بعنوان (فراقك نار) يتحدث عن زوجته التي تركها في بروسة حيث ذهب إلى اسطنبول طالبا من السلطان موافقته على الانتقال إلى دمشق يقول فيها :

أقول لمحبوب تخلـف مـن بعدي عليلا بأوجـاع الفـراق وبالبعـد

أما أنت حقا لو رأيـت صبابـتي لهان عليك الأمر من شـدة الوجد

وإني وحـق الله دائـم لـوعـة ونار الجوى بيـن الجـوانح في وقد

حنيـني أنيني زفـرتي ومضـرتي دموعي خضوعي قد أبان الذي عندي

وقد هالني بل قد افـاض مدامعي وأضنى فؤادي، بل تعـدى عن الحد

فراق الـذي أهـواه كهلا ويافعا وقلبي خلـي من سعاد ومن هنـد

فحلت محـلا لم يكـن حل قبلها وهيهات أن يحلل به الغير أو يجـدي

وقد عرفتني الشوق من قبل والهوى كذا البكا – يا صاح – بالقصر والمد

**ونلاحظ في القصائد الغزلية الخاصة به :**

* استعمال القوالب الجاهزة، حيث نلاحظ تشابه الصور الموظفة مع تلك التي نعرفها عند الشعراء القدامى
* دقة الوصف
* كثرة الشكوى من الحبيبة ومن بعدها وتمنعها
* الأوصاف المقدمة عن المرأة في غالبيتها أوصاف فتاة ريفية جميلة جمالا طبيعيا ذات قد رشيق، مدللة وتمعن في المماطلة في سبيل إغراء الحبيب .